معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي.

1ـ منهج الخليل.

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل رائد لعلم لمعجمات في العربية، فقد ابتكر طريقة فريدة في ترتيب حروف المعجم باعتماد مخارجها الصوتية، إنطلاقا من علمه الواسع بالموسيقى، وقد رفض الخليل الترتيب الأبجدي الذي اقتبسه العرب عن الفينيقيين وعدد حروفه اثنان وعشرون حرفا، وأضافوا عليها الروادف التي ينفرد بها العرب عن غيرهم في اللغات السامية الأخرى وهي (ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ ، ء). أما سبب رفضه لهذا الترتيب فهو كونه لا يستند إلى مبدأ معين، أو نهج محدد، ولأنه يبدأ بالهمزة، وهو حرف لا يستقر على قرار، وتتلاحق الأحرف في هذا الترتيب الأبجدي وفق ما يلي:

(ا ، ب ، ج ، د ، ه ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت ، ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ).

كما رفض الترتيب وفق الأشباه والنظائر الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي (ت 90 ه) بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي، لأنه مبني أصلا على الرسم والكتابة، بينما اللغة قوامها الأداء والنطق. وتتلاحق الأحرف وفق الترتيب الهجائي هذا على النحو التالي:

(ا ، ب ن ت ن ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ

، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، ه ، و ، ي.)

خرج الفراهيدي بطريقته الصوتية التي ترتب الحروف وفق خروجها من الحلق صعودا من أدنى إلى أعلى، بدءا من الحلق، وانتهاء بالشفتين، لأن أساس اللغة في نظره النطق وليس الرسم، أما الفهم ، فهو الأداة التي تكون الحروف وتطلق الأصوات.

هكذا قام الخليل بوضع سلمه اللغوي ، بعد دراسته للحروف العربية ، فرتبها بشكر آخر يتناسب مع مخارجها الصوتية، وقال بأن العين والحاء والهاء والخاء والغين هي حروف حلقية|، لأنها تخرج من الحلق، بعضها أرفع من بعض، ثم قال

بأن القاف والكاف هما حرفان لهويان لأنهما يخرجان من اللهاة ، أما الجيم والشين والضاد فهي حروف شجرية لأنها تخرج من شجر الفن ، بينما الصاد والسين والزاي هي حروف أسلية ، لأنها تخرج من أسلة اللسان ، والطاء ، والتاء، والدال حروف نطعية لأنها تخرج من نطع الفم الأعلى ، والظاء ن و الذال ، والثاء هي حروف لثوية بعضها أرفع من بعض ، والراء ، واللام ، والنون ، حروف زلقية لأن مبدأها زلق اللسان، ثم الفاء والباء والميم من حيز واحد، وهي حروف شفوية لأنها تنطلق من الشفة.

أما الحروف الباقية وهي الواو والياء والألف والهمزة، فليس له حيز تنسب إليه إلا الهواء، وهي بذلك حروف هوائية، إلا أنه جعل الواو والألف والياء قسما، والهمزة وحدها قسما آخر.

وتتتابع بذلك الحروف العربية وفق طريقة الخليل الصوتية هذه على النحو التالي:

ع ، ح ، ه ، خ ، غ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ض ، ص ، س ، ز ، ط ، د ، ت ، ظ ، ذ ، ث ، ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي ، ء.

ثم قام الخليل بتأليف معجم لغوي رتبه على هذه الطريقة.

2 ـ فكرة معجم العين، الترتيب على الأساس الصوتي ومبدأ التقليب.

ألف الفراهيدي كتاب العين ورتبه وفق الطريقة الصوتية التي ابتكرها وجعله كتبا على عدد حروف الهجاء بعد أن سمى كل حرف كتابا ، وابتدأه بكتاب العين لأن حرف العين هو أول حرف من حروف الهجاء عنده، ثم أتبعه بكتاب الحاء، ثم كتاب الهاء وهكذا حتى آخر حروف الهجاء. وقد سمي الكتاب في جملته بكتاب العين من باب تسميته الكل بالجزء.

اعتمد الخليل مبدأ التقاليب، وهو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع حروفها، وهو ما يعرف بالاشتقاق الكبير، وعلى أساسه تنقلب الكلمة الثنائية إلى صورتين فكلمة (عب) تنقلب أيضا على صورة أخرى هي (بع). أما الكلمة الثلاثية ففيها ست صور، مثل مادة (شرب) وعي ثلاثية، ينتج عنها عند تقليبها الصور التالية: شرب ، برش ، شبر ، ربش ، بشر، رشب. وكلمة (لعب) ينتج عنها عند تقليبها أيضا الصور التالية : لعب ، بعل ، لبع ، بلع ، علب ، عبل ، فيه المستعمل وفيها المهمل. أما الكلمة الرباعية ففيها (24) صورة ، والخماسية فيها (120) صورة. وعلى هذا الأساس حصر الخليل ألفاظ اللغة العربية حصرا رياضيا ب (12) مليون كلمة.

رتب الفراهيدي الألفاظ في معجمه وفق حروف الحلق ولكنه بما أنه اعتمد مبدأ التقاليب

السابق الذكر ، فإنه لابد من إعادة ترتيب الكلمة المطلوبة على أحرف الحلق قبل البحث عنها في المعجم. فكلمة (بقل) مثلا نجدها مشروحة تحت (قلب) ، أي أننا تحت كلمة قلب نجد شرح جميع الألفاظ التي تنقلب عنها ، علما أنه لا يعيد شرح كلمة (بقل) في مكان آخر لأنه سبق وأن شرحها في تقاليب مادة (قلب). لذلك جاءت الأبواب الأولى في المعجم طويلة، مكتظة بالمواد اللغوية مع تقاليبها المختلفة المستعملة والمهملة، بينما جاءت الأبواب الأخيرة أقصر حجما ، وأقل مادة.

وكان الخليل قد بدأ معجمه بشرح كلمة (عق) ثم (عك) في باب الثنائي الصحيح بينما المفروض أن يبدأ بالعين مع الحاء ثم العين مع الهاء حسب ترتيب الحروف على طريقته الصوتية ، ولكن علل ذلك بقوله أنه نظرا لقرب هذين الحرفين من مخرجهما يتعذر النطق بهما معا ، وهكذا شرح مادة (عق) ثم مقلوبها (قع) دون العودة إلى شرح هذه الكلمة من باب القاف ثانية ، مكتفيا بشرحها من باب العين ، وذلك تحاشيا للتكرار.

أقام الخليل شروحه على دعائم قوية من الشواهد الشعرية والقرآنية أولا ، ثم الحديثية والأمثال ثانيا ، كما وجه عناية خاصة إلى لغات العرب حين تكرار معنى اللفظ الواحد ، أوعند استبدال حرف منه بآخر قد تعودته بعض القبائل، أو حين تدعوا المناسبة للمقارنة بين لهجتين وفي هذا قوله :" الخبع : الخبء في لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عينا ، وخبع الصبي خبوعا ، أي فحم من شدة البكاءحتى انقطع نفسه".

وردت في كتاب العين هنات كثيرة مثل الأخطاء الصرفية ، والتصحيف ، والتحريف ، وعدم استفياء الصيغ الواردة في كلام العرب ، كما أهمل أبنية مستعملة ، وهي هنات لا يمكن أي يقع فيها عالم كبير كالخليل، لذلك يعتقد أنها وقعت بسبب الناسخين ، وكانت هذه الهنات أسباب رفض بعض العلماء أن يكون كتاب العين للخليل ، كأبي حاتم ، والأزهري ، وابن فارس ، والقالي ، وابن النديم ، وأبي الطيب اللغوي ، وكلهم أنكروا نسبة الكتاب إليه.

3 ـ خاتمة مكانة معجم العين في تراث العربية.

يعد كتاب العين رائد المعجمات العربية ، وقد أثر بشدة في المعجمات التي ألفت بعده ذلك أن علماء اللغة أفادوا منه كثيرا ، كما ألفت حوله كتب عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال كتاب "المدخل إلى كتاب العين" للنضر بن شميل ، وكتاب

"استدراك على العين" للمفضل بن سلمة ، وكتاب "مختصر العين" لأبي بكر الزبيدي، الذي حذف ما في الأصل من شواهد ، وصحح ما وجده وصحفا ، حتى بدا في نظر بعض العلماء أحسن من الأصل.